المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الهادى إلى الصراط المستقيم، الأول بلا بداية، والأخر بلا نهاية، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة وهداية للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الطفولة... ذلك العالم الجميل الذى يفيض عذوبة ورقَّة، بكل ما فيه من تصرفات بريئة وعفوية تعبر عن إبداع فطرى فى أولى خطواته، إن تعهدناه بالرعاية والاهتمام وأنبتناه على القيم التربوية المثلى أصبح لدينا ثروة بشرية مبدعة تعود على المجتمع بالنفع والخير.

من يقول إن الإنسان إذا بلغ الحلم استغنى عن التربية؟ الحقيقة أن البشرية تتعلم باستمرار، وسيظل الإنسان بحاجة إلى التوجيه والإرشاد فترة طويلة من الزمان، قد تمتد إلى ما بعد سن الخامسة والعشرين. ويعلمنا القرآن الكريم أن النتائج العظيمة تحتاج إلى صبر، وفى الحقيقة إن كل ما يتعلق بالأخلاق والسلوك تحتاج برمجته فى شخصية الإنسان إلى وقت، لا سيما أن الطفل قد لا يستوعب ما نقوله له على الوجه الذى نريده، ولا تكون القيم والمثل واضحة فى ذهنه مثل وضوحها فى أذهاننا نحن.

وقد حاول علماء التربية قديمًا وحديثًا أن يهتدوا إلى منهجٍ تربوىّ شامل يُعنى بتحديد الأساليب والقيم والمعايير الكفيلة بدراسة مرحلة الطفولة والشباب، وقد بذلوا فى هذا الصدد جهودًا كبيرة وشاقة ومتواصلة حتى استطاعوا التوصل إلى نظريات ومقترحات وتوصيات تُعدُّ ــ من وجهة علمية ــ قيّمة ونافعة، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من تحديد المنهج الدقيق الذى يمكن الاستناد إليه فى معالجة

المشكلات المعقدة، التى تميز تلك المرحلة الحساسة من عمر الإنسان، كما أخفقوا فى إيجاد حل للصعوبات المتزايدة يومًا بعد يوم والتى تواجه الآباء والأمهات والمربين فى هذا المجال.

ومن حسن الحظ أن تراثنا التربوى زاخر بمعين لا ينضب من الوصايا والإرشادات، والتعاليم والتوجيهات التى لو استخدمت فى مجال التربية، ووظّفت فى ميادينه المتعددة، لكانت كفيلة بترسيخ أروع القيم والمثل العليا فى نفس الطفل، ولجعلت منه شخصية سويّة قادرة على القيام بدورها ــ كما ينبغى ــ فى بناء المجتمع.

فقد يلحظ الوالدان تغيراً ما فى سلوك طفلهما، ويظهر ذلك فى عدم تكيف الطفل مع بيئته الداخلية (الأسرة) أو البيئة الخارجية (المجتمع)، وتتعدد مشكلات الأطفال وتتنوع تبعًا لعدة عوامل قد تكون إما: جسمية أو نفسية أو أسرية أو مدرسية، وكل مشكلة لها مجموعة من الأسباب التى تفاعلت وتداخلت مع بعضها وأدت إلى ظهورها لدى الطفل، ومن الصعب الفصل بين هذه الأسباب وتحديد أى منها كمسبب للمشكلة.

ولكن ... متى نعتبر سلوك الطفل مشكلة تحتاج إلى علاج؟ قد يلجأ الوالدان لطلب استشارة نفسية عاجلة لسلوك الطفل ويعتقدان أن سلوك الطفل غير طبيعى، إما لجهلهما بطبيعة نمو الطفل أو لشدة الحرص على سلامته وخوفًا عليه من الأمراض والاضطرابات النفسية خاصة إذا كان المولود الأول لهما، وقد يكون الطفل سلوكه عاديًا وطبيعيًا تبعًا للمرحلة التى يمر بها، لذا فمن المهم جدا أن نتعرف متى يعد سلوك الطفل طبيعيًا أو مرضيًا.

ونظرًا لأهمية مرحلة الطفولة فى بناء شخصية الإنسان، فقد أدرك علماء الصحة النفسية أهمية دراسة مشكلات الطفل وعلاجها فى سن مبكرة قبل أن

تستفحل، وتؤدى لانحرافات نفسية فى مراحل العمر التالية، وقد تبين من دراسة الباحثين فى الشخصية وعلم نفس النمو أن توافق الإنسان فى المراهقة والرشد مرتبط إلى حد كبير بتوافقه فى مرحلة الطفولة، فمعظم المراهقين والراشدين المتوافقين مع أنفسهم ومجتمعهم توافقًا حسنًا كانوا سعداء فى طفولتهم قليلى المشاكل فى صغرهم، بينما كان معظم المراهقين والراشدين سيئى التوافق، تعساء فى طفولتهم، كثيرى المشاكل فى صغرهم.

ولنتذكر أننا جميعًا نحب أبناءنا، ولكن أطفالنا يحتاجون منا لأكثر من هذا الحب، فهم يحتاجون منا لبث معنى الاعتماد على الذات، يحتاجون منا أن نربيهم لا أن نعلمهم، إن ما نفعله مع أبنائنا بكل بساطة هو تعريفهم معنى الصواب من الخطأ، إننا بكل وضوح نختار لهم وكأننا نقوم بإعطائهم وصفات واضحة وسهلة لممارسة حياتهم، إن الطفل فى حياته سيتعرض بلا شك لمواقف يحتاج فيها أن يفكر لا أن يسأل أباه وأمه عن كيفية التصرف فيما يواجهه من مواقف حياتية، إن واجبنا ينحصر فى تعليم أطفالنا منهجية التفكير السليم، لكى يستطيعوا أن يعرفوا الصواب من الخطأ .. أليس كذلك ؟

فالتربية ليست خبرة فقط.. التربية علم وفن، علم نعرف قواعده وأصوله، وفن نحترف آلياته واستراتيجياته. التربية ماهى إلا عملية إرشاد، ولا تعبر إطلاقًا عن إملاء أسلوب معين للتفكير والسلوك، وإلا فسيصبح أبناؤنا نسخة مطابقة لنا بكل العيوب والمزايا، وهذا منافٍ للتنوع فى السلوك والشخصيات وحرية الاختيار الذى هو طبيعة الأشياء فى هذا الكون.

وكلنا يعلم أن العلاقات الأُسرية لها دورٌ كبير فى توثيق بناء الاسرة وتقوية التماسك بين أعضائها ولها تأثيراتها على نمو الطفل وتربيته ، وايصاله إلى مرحلة التكامل والاستقلال، والأجواء الفكرية والنفسية والعاطفية التى تخلقها

الأُسرة للطفل تمنحه القدرة على التكيّف الجدّى مع نفسه ومع اسرته ومع المجتمع، ومن هذا المنطلق فان الاسرة بحاجة إلى منهج تربوى ينظم مسيرتها، فيوزع الادوار والواجبات ويحدّد الاختصاصات للمحافظة على تماسكها المؤثر فى انطلاقة الطفل التربوية.

من هنا نبتت فكرة هذا الكتاب الذى يجيب عن سؤال هام جداً يدور فى ذهن كل مربٍ بل كل إنسان يسعى لتربية أبنائه تربية صالحة سوية متوافقة، حيث يمثل دليلاً ومرشداً للآباء والأمهات وغيرهم من المهتمين بتربية الطفل، الذى يعد خير استثمار لكل من أراد خيرى الدنيا والآخرة، وقد جاءت فكرة هذا الكتاب من خلال المناقشات الحيوية والمشكلات الواقعية التى عايشتها بنفسى فى الآونة الأخيرة، وخاصة بعد نشر كتابى السابق (تربية الأبناء .. قواعد وفنون) والذى تناولت فيه المذاهب والنظريات الحديثة فى تربية الأبناء، أو ما يمكن أن نسميه أسرار التربية فى ضوء علم النفس الحديث بمختلف فروعه ومجالاته.

والكتاب الذى بين يديك ــ أيُّها القارىء العزيز ــ استطاع أن يحدد ملامح المنهج التربوى القويم الذى يُعنى بكيفية إعداد الطفل نفسيًّا وعقليًّا وسلوكيًّا، مستندًا ــ فى ذلك ــ إلى المراجع والدراسات التربوية العربية والأجنبية، ودراسات وبحوث علم النفس بمختلف فروعه، مستفيدًا أيضًا من الدراسات العلمية الحديثة فى هذا الاطار.

وعلى الرغم من اقتناعنا بأن بعض الأباء والأمهات إن لم يكن أغلبهم لديهم حصيلتهم التربوية والتى تزخر بالعديد من الخبرات المتوارثة والتى انتقلت من جيل إلى جيل، إلا أننا نعلم أن هناك ظروفًا كثيرة قد تغيرت من حولنا، مما يتطلب بالضرورة تطوير وتحديث أسس ومبادئ وأليات وفنون التربية بما يتلاءم مع معطيات ومتطلبات العصر الحديث الذى نعيشه بكل ما فيه من

تحديات. كما أن مشاغل الأباء والأمهات ومسئولياتهم قد تحول بينهم وبين التواجد مع أبنائهم الوقت الكافى فى كثير من الأحيان، لذا فقد حرصنا على أن يكون هذا الكتاب شاملاً جامعاً لكل ما يحتاج إليه المربى من خبرات تربوية ونفسية واجتماعية فعالة ومؤثرة فى تربية الأبناء والوصول بهم إلى بر الأمان وذلك رغم التحديات التى جعلت من التربية مهمة شاقة إلى أبعد الحدود..

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم سؤال عن مدى أو جدوى تحديث الأساليب التربوية؟! فالكثير يقولون إننا نربى أبناءنا كما تربينا نحن.. والإجابة ببساطة أن الخبرة صحيحة والمرونة فى تفهم نفسية الطفل هما قوام أى مربى ناجح، وما لم يكن المربى واعيًا بالفكر التربوى فإن جهده فى عملية التربية تعد وقتًا مهدرًا وجهدًا ضائعًا.

وفى إطار ذلك التركيز على دور الأباء والأمهات فى عملية التربية، فقد احتوى هذا الكتاب على عشرة فصول خصص **الفصل الأول** منها لتأسيس أفكار مهمة لابد من تأصيلها فى عقل المربى وهو بعنوان "الأمومة والأبوة تعالوا نتعلمها معًا"، ويحدد أسس ومبادئ تربوية للأباء والأمهات لأول مرة.

أما **الفصل الثانى** فقد اهتم بتقديم فكرة شاملة عن أسرار التربية وهو بعنوان "دليل النصائح التربوية"، كما أشار إلى بعض الأسس اللازمة لها، وقد تضمن هذا الفصل عدة موضوعات تتناول وسائل تنمية ذكاء الطفل، دليل التعامل مع الابن المبدع، تنمية ذاكرة الطفل، القدوة ودورها فى التربية، النظام وكيفية تعليمه للطفل، وعرض لبعض المشكلات التى قد تواجه الآباء فى تربية أبنائهم.

وقد ركز **الفصل الثالث** على أهم مشكلات الطفولة وكيفية التغلب عليها ومواجهتها، وعرض لوسائل العقاب وتأثيرها فى نفسية الطفل، وتأخر النطق

عند بعض الأطفال وعلاقة ذلك بالنمو العقلى، وكذلك التعامل مع الأسئلة المحرجة للطفل، وغيرها من الموضوعات فى هذا المجال.

ويتعرض **الفصل الرابع** لمفهوم اللعب، وأهميته، وتأثيره فى شخصية الطفل، وعلاقته بالذكاء.

أما **الفصل الخامس** فيعد إضافة مفيدة حيث يهتم بتعميق فهم المربى لبعض أدواره الأخرى فى المدرسة والمجتمع وتوعيته بأهمية تطوير نفسه وصقل مهاراته التدريسية والاجتماعية.

ويتناول **الفصل السادس** قضية الأم العاملة، وتأثير وقتها المستقطع للعمل على طفلها، وحيرتها فى أن تعطى الأولوية لطفلها أم لعملها، وبعض المشكلات التى قد تعترضها فى هذا الشأن، وبعض الحلول لتنظيم وقتها بين بيتها وطفلها وعملها.

أما **الفصل السابع** فيتناول بعض المشكلات السلوكية عند الطفل، ومنها العناد، والغيرة، والعصبية الزائدة، والإلحاح فى الطلب، والعنف، والميل للتخريب والتدمير، والتمرد على الواقع، والانطواء والخجل، وكيفية التعامل مع هذه المشكلات السلوكية، وعلاج الطفل منها.

ويتعرض **الفصل الثامن** لبعض المواقف التربوية التى يمر بها المربى ولا يعرف كيف يستغلها ويوظفها لتحقيق هدف تربوى، مثل تهيئة الأبناء لاستقبال شهر رمضان، وتغيير السلوكيات الخاطئة عند الطفل، واستخدام التكنولوجيا المتقدمة مثل الكمبيوتر والتليفزيون والفضائيات والألعاب الإلكترونية، والإنترنت.

أما **الفصل التاسع والأخير**، فيتناول مرحلة المراهقة، فالمراهقة مرحلة أقل ما توصف به أنها صداع وصراع، بل مأساة حقيقية، فقد يعدها البعض كارثة

محققة على رأس كل أب وأم، وينصح الخبراء بضرورة فهم طبيعة هذه المرحلة ومتطلباتها حتى يمكن التعامل معها بصورة إيجابية.

وختامًا... يسرّني أن أقدّم هذا الكتاب الممتع والنافع إسهامًا مني في خدمة الآباء والأمهات والمهتمين بأمر تربية الطفل، وذلك بتيسير أوضح السبل وأكثرها دقة وأمانًا في تنشئة الطفل نشأة قويمة صالحة؛ لكي يؤدي دوره المنشود في ظل ما يواجه مجتمعنا من تحديات.

والآن.. هيا بنا لنضع ضوابط التربية السوية، ونستعرض مجموعة من المبادئ التي تساعد الأباء والأمهات على تربية أبنائهم بصورة أفضل.